

تاريخ النشر 2020/12/22

تاريخ القبول: 2017/12/29

تاريخ الارسال: 2017/10/31

الرؤى الإصلاحية للمفكر النهضوي عبد الرحمان الكواكبي

(1855-1902م)



الأستاذ: مقدم رشيد

جامعة الجزائر -2-

الملخص:

قدم الكواكبي برنامجاً إصلاحياً متميّزاً ، لانزال بحاجة إلى النهل منه خاصة والعالم الاسلامي يعيش حالة التفكك والانحيار. فأفكار الكواكبي ومساعيه الاجتماعية تتلخص في مكافحة فكرة الاستبداد، والاستناد إلى الدين والعلم والاخلاق، والتأكيد على منزلة العقل، والدعوة إلى حكومة دستورية تحترم حرية الفرد، وإلى ربط العلم بالعمل. اهتمامه بالقضايا الاجتماعية يأتي في سياق اهتمامه بالقضايا السياسية والاقتصادية والدينية، ومن تلك قضايا: المرأة والتعليم والاخلاق، ومستوى المعيشة.

Abstract:

Al-Kawakibi presented a distinguished reform program, which we still need to benefit from, especially as the Islamic world lives in a state of disintegration and collapse. The ideas of Al-Kawakibi and his social endeavors are summarized in combating the idea of tyranny, relying on religion, science and morals, emphasizing the status of reason, and calling for a constitutional government that respects the freedom of the individual, and to link science with work. His interest in social issues comes in the context of his interest in political, economic and religious issues, among which are issues: women, education, ethics, and the standard of living.. Al-Kawakibi realized the diseases surrounding the Islamic world in light of Western colonial domination, so his call came to revive Arab heritage, spread **the Arabic** language and education in it, and call for autonomy for the Arabs or for their independence from the Ottoman Empire..

تاريخ النشر 2020/12/22

تاريخ القبول: 2017/12/29

تاريخ الارسال: 2017/10/31

مقدمة

ومحاولته ضم بلاد الشام وإجماع الدول الأوروبية على إسقاط تجربته خوفاً من نتائجها على المصالح الأوروبية.

ورغم محاولات الإصلاح في الدولة العثمانية، فإن حجم الأمراض كان أكبر من تلك المحاولات، وكانت الدولة تسير نحو نهايتها بخطوات متسارعة.

أما على المستوى الفكري فقد بدأت ملامح يقظة لحركة فكرية إسلامية منذ القرن الثامن عشر، تمثلت ببعض رجال الفكر الداعين إلى الإصلاح، أو الذين أسهموا ببعض المؤلفات والكتابات. ومن أبرز هؤلاء نذكر: عبد الرحمن الجبرتي، والمرتضى الزبيدي، محمد خليل المرادي، أبو القاسم الزباني المغربي الشوكاني اليمني، ومحمد بن عبد الوهاب وغيرهم من علماء ومفكري الإصلاح.

ويلاحظ في هذه الأمثلة لهؤلاء الرجال مدى التنوع الجغرافي والاهتمام الفكري بين التاريخ والدين والأدب والسياسة. وما كان لبعضهم من دور ونتائج على مستويات

ثم تأتي مرحلة ما بعد الحملة الفرنسية ذات الطابع الاستعماري على مصر على يد نابليون، وتجربة محمد علي، وظهور رجال مثل الشيخ حسن العطار والذي كانت صيحته تعبيرا صادقا عن ذلك، فقد قال بعدما اقترب من علماء الحملة الفرنسية وأبصر ما لديهم من علوم: "إن بلادنا لا بد أن تتغير ويتجدد بها من العلوم والمعارف ما ليس فيها". ومنذ ذلك الحين بدأ العرب

شهد القرن التاسع عشر حملة من الأحداث والتطورات على المستوى السياسي والفكري والاجتماعي. وتركت هذه الأحداث أثرها على مسار الحركة النهضة العربية التي ظهرت خلال النصف الثاني من القرن نفسه. فعلى المستوى السياسي كانت أقطار العالم الإسلامي تسير نحو التفكك والانحيار بفعل التدخلات الخارجية والمتاعب الداخلية. في الشرق كانت مملكة الهند الإسلامية تتهاوى تحت ضربات المخططات البريطانية التي استمرت تعمل حتى تم تقسيم شبه جزيرة الهند إلى ثلاث دول خلال القرن العشرين. والهولنديون يحتلون الجزر الأندونيسية، والأسر الحاكمة في إيران وأفغانستان تصطدم بالأطماع الروسية والبريطانية

وكان الشمال الأفريقي عرضة لمؤامرات الاحتلال والتمزيق، فرنسا تحتل الجزائر ثم تونس ثم المغرب، وكذلك أكثر مناطق غرب أفريقيا المسلمة، فبريطانيا اتحلت مصر والسودان وكثيراً من دول شرق أفريقيا، وإيطاليا تضع عينها على ليبيا والحبشة، بينما الدولة العثمانية تعيش التراجع والمصاعب بعد قرون من الصراع مع أوروبا الطامعة إلى اقتسام ممتلكات السلطنة العثمانية، وشهد القرن نفسه قيام تجربة محمد علي

تاريخ النشر 2020/12/22

تاريخ القبول: 2017/12/29

تاريخ الارسال: 2017/10/31

يتحسسون مكمّن الداء ويشعرون بالهوة الحضارية التي أضحت تفصل بين ديار الإسلام والغرب، و كذلك الشيخ

رفاعة الطهطاوي

عبد الرحمان الكواكي حياته و مؤلفاته:

و لد عبد الرحمان الكواكي عام 1854م. و قد بدأ الكتابة شاباً محرراً في جريدة الفرات الرسمية ثم أنشأ جريدة الشهباء و هي أول جريدة عربية خاصة صدرت في حلب لتتوقف بعد خمسة عشر عدداً بأمر من الوالي العثماني¹. و في عام 1869 أنشأ جريدة اعتدال ليتم تعطيلها أيضاً من قبل الوالي لما احتوته من فكر تحرري ودعوات تحريضية ضد الاستبداد. وبعد أن ضاقت به سبل الحياة والتعبير في سوريا، وبعد أن ألقى القبض عليه مراراً، غادر حلب سنة 1899 إلى مصر حيث استفاد من هامش محدود من حرية التعبير كانت تتمتع به وانفتاح نسبي على الثقافة الأوروبية. ولقد عالج مسألة الاستبداد والحكم المطلق في كتاب "طبائع الاستبداد و مصارع الاستعباد".

وقد حاول أن يتخيل جامعة إسلامية قائمة على أسس حديثة تشبه إلى حد بعيد المنظمات الإقليمية الحالية وذلك من خلال مؤتمر يبحث حال المسلمين و دينهم، فكان كتابه الثاني "أم القرى"، وقد وجاءت وفاته بعد أن دس له السم في فنجان قهوة عام 1902²

وفي النصف الثاني من القرن التاسع عشر، ومع التوسع في عملية التعليم والبناء أيام «إسماعيل» في مصر، وفتح قناة السويس وإنشاء الأقنية والسبل والطرق والمدارس ودار الأوبرا، وظهور الصحف، وتبلور طبقة مثقفة أخذت شكل "البورجوازية" - إن جاز

وكان أن ظهر على الساحة جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده وخير الدين التونسي وعلي المبارك وفرنسيس مراه وبطرس البستاني، ثم رشيد رضا وفرح انطوان.

ورافق ذلك ظهور مدارس وصحافة، وتعليم جامعي، ولكن اللافت أن هذه الأنشطة كانت تلقائية عفوية لم تأت نتيجة برنامج وتخطيط، ولم يتبلور لدى أحد هؤلاء المفكرين مشروع إصلاح متكامل يقدمه بمنهجية وإدراك عميقين.

حتى إذا جاء الكواكي في النصف الثاني من القرن التاسع عشر بلور في صحافته وكتبه ما يمكن أن ندعوه منهجاً محدداً للإصلاح وبخاصة في كتابيه: "أم القرى"، و"طبائع الاستبداد". وفي هذا المقال سنتناول الرؤى الإصلاحية للمفكر النهضةي عبد الرحمان الكواكي

تاريخ النشر 2020/12/22

تاريخ القبول: 2017/12/29

تاريخ الارسال: 2017/10/31

قفوا وقرأوا أم الكتاب وسلموا

عليه فهذا القبر قبر الكواكبي

لقد تطور الفكر الاصلاحى عند عبد الرحمن الكواكبي في مرحلتين أساسيتين بينهما ترابط واتصال من جهة، وافتراق في المكان والزمان من جهة أخرى. وهما المرحلتان التي اعتنى الكتاب والباحثون بدراستهما والتوقف عندهما باهتمام باعتبارهما من المحطات الرئيسية في حياته وحركته الاصلاحية، وفي تطور خطابه وفكره الاصلاحى

وقد وجد هؤلاء الدارسون سهولة كبيرة في إمكانية التعرف على سيرته وحياته، وعلى فكره وحركته. بعكس ما وجده الدارسون والمؤرخون من صعوبات كبيرة في التحقيق عن سيرة السيد «جمال الدين الأفغانى» وكتابة تاريخ حياته وحركته الاصلاحية³، نتيجة المحطات الكثيرة والمتباعدة في حياته، حيث عرف عنه السفر والانتقال وعدم الاستقرار في مكان واحد. لذلك هناك تضارب حول سيرة الأفغانى بين الباحثين والمؤرخين في العالم العربى والإسلامى، وحتى في العالم الغربى، والمرحلتان اللتان

تاركاً وراءه سيرة حياة عطرة وعابقة بالنضال والكفاح السلمى الفكرى النقدى، وبالتحديات والمصاعب، لرجل إصلاحى تنويرى حقد عليه (ولاحقه وطارده ونكل به) كل أعداء الحرية والعدالة في زمانه، و يقال انه سمم على أيدي عملاء السلطان عبد الحميد الذين سرقوا ما احتواه منزله في القاهرة من كتب و مخطوطات كان يحضر لنشرها.

وقد عرف منها كتب "صحائف قريش، العظمة لله، أمراض المسلمين والأدوية الشافية لها؟ أحسن ما كان في أسباب العمران وماذا أصابنا ؟ و كيف السلامة ؟". كما كان يدعو لانتزاع الخلافة من العثمانيين و حصرها في العرب و حدهم، و إلى الأخذ بمنجزات الحضارة الغربية، و النظم الدستورية البرلمانية، مع معاداة الاستعمار .

ومن حسن سيرته، وذويع شهرته وصيته العطر، ورجاحة عقله وتفكيره، تأثر الناس لموته، حيث رثاه الشعراء والكتاب، ومختلف رجالات الأدب والثقافة المصريين والشاميين، حتى قال فيه الشاعر الكبير حافظ إبراهيم قصيدة شعرية مهمة، نقش منها البيتان التاليان على قبره:

هنا رجل الدنيا هنا مهبط التقى

هنا خير مظلوم هنا خير كاتب

تاريخ النشر 2020/12/22

تاريخ القبول: 2017/12/29

تاريخ الارسال: 2017/10/31

وهي الجريدة الوحيدة في حلب آنذاك، والناطق بلسان الدولة، وكانت تصدر باللغتين العربية والتركية.

نقصدهما في الحديث عن تطور الفكر الاصلاحي عند الكواكي، هما:

ولعل هذه التجربة المبكرة كشفت له عن قيمة الدور الذي تنهض به الصحافة في تنوير الرأي العام والقدرة على تحريكه والتأثير عليه. الأمر الذي شجعه على الانخراط في هذا المجال باستقلالية، فأصدر سنة 1878م جريدة «الشهباء» بالتعاون مع "هشام العطار"، وكانت في وقتها أول جريدة عربية مستقلة صدرت في حلب. لكنها توقفت بعد صدور خمسة عشر عدداً بأمر من والي حلب آنذاك «كامل باشا القبرصي» الذي لم يتحمل المنحى النقدي للصحيفة. وعاود «الكواكي» التجربة مرة أخرى لقناعته بهذا الدور فأصدر سنة 1879م جريدة "الاعتدال" باللغتين العربية والتركية، لكنها توقفت هي الأخرى بعد صدور عشرة أعداد منها، وبأمر أيضاً من والي حلب "جميل باشا".

وبعد هذه التجربة في الصحافة التي وجد فيها «الكواكي» عدم إمكانية النهوض بها في ظل استبداد السلطة التي لا تحتمل النقد أو الرأي المختلف، تحول إلى العمل الإداري والحكومي الرسمي، وبدفع من السلطة. الخطوة التي يمكن تفسيرها بقصد امتصاص النزعة النقدية واحتواء الحس المعارض الذي ظهر

المرحلة الأولى:

كانت في حلب التي ولد ونشأ وترعرع الكواكي فيها. وفيها أيضاً تبلورت تجربته الاصلاحية عن طريق الأدوار والأنشطة التي تصدى لها أو نهض بها، وشملت مجالات الصحافة والمحاماة والتجارة. وهي الأنشطة والمجالات التي جعلته على احتكاك مباشر وحي مع المجتمع من جهة، ومع السلطة من جهة أخرى. لذلك فإن الأفكار التي توصل إليها وتمسك بها، وكان شديد القطع بها، هي نتاج اختبارات وتجربات واحتكاكات، وليست مجرد تأملات أو تجريدات أو تنظيرات باردة⁴ فقد شغل في مجال الصحافة محرراً بجريدة «الفرات» مدة أربع سنوات (1872، 1876م)

تاريخ النشر 2020/12/22

تاريخ القبول: 2017/12/29

تاريخ الارسال: 2017/10/31

قضايا الأمة، والتأثير على الرأي العام. أما المناصب الإدارية والحكومية فقد كشفت له عن ديناميات الاستبداد وكيف ينمو ويتوسع في مؤسسات الدولة ويستشري فيها؟ وكيف يتضرر الناس من هذا الوضع الفاسد؟ أما القضاء والمحاماة فقد عرفه على معاناة الناس والتعدي على حقوقهم. ويسجل للكواكبي ما قام به من دور مهم في إظهار ظلمات المواطنين وحجم الضرر الذي وقع عليهم عن طريق مكتب فتحه للمحاماة ظل يستقبل فيه الشكاوي والتعديات، إلى درجة أن السلطات المركزية العثمانية كلفت مفوضاً عنها هو «صاحب بك» رئيس دائرة المحاكمات في شورى الدولة أرسلته إلى حلب سنة 1885م، للنظر في الظلمات التي حررها ووثقها الكواكبي ضد الموظفين والولاة في الإدارات والمؤسسات العثمانية. وقد حول الكواكبي بذهنيته المفكر والاصلاحية هذه التجارب والمعاناة والخبرات إلى تأملات في تحليل مشكلات الأمة وكيفية النهوض بها، وهي التأملات التي عكسها في كتابيه الشهيرين «طبائع الاستبداد» و«أم القرى»⁶.

المرحلة الثانية:

وكانت في القاهرة، التي وصل إليها سراً سنة 1899م، وفيها عرفت أفكاره الاصلاحية التي بشر بها،

متجلباً في نشاطه الصحفي. فقد عين سنة 1879م عضواً فخرياً بدون راتب مالي في لجنتيهما المعارف والمالية. وفي سنة 1881م أصبح مديراً فخرياً للمطبعة الرسمية بحلب، ثم رئيساً فخرياً للجنة الأشغال العامة. وفي سنة 1892م عين رئيساً للغرفة التجارية إلى جانب رئاسة المصرف الزراعي، واستقال منهما في السنة ذاتها. وفي سنة 1896م أعيد ليكون رئيساً لغرفة التجارة بحلب ولجنة بيع الأراضي الأميرية⁵ هذا التحول والانتقال السريع في المناصب والمواقع يكشف عن عدم قدرة «الكواكبي» على الانسجام والتوافق مع مؤسسات الدولة المستبدة. كما يكشف من ناحية أخرى عن سعي السلطة في احتوائه وترويضه وقولبته وفق سياساتها. ومن المجالات التي انخرط فيها أيضاً سلك المحاماة والقضاء ولم يستقر في منصب محدد، بل ظل ينتقل من موقع لآخر. فقد عين عضواً بمحكمة التجارة سنة 1886م بأمر من وزارة العدلية العثمانية، وفي سنة 1894م أصبح رئيساً لكتاب المحكمة الشرعية بالولاية. هذه المجالات والأنشطة ساهمت في تكوينات «الكواكبي» في تصوراتهِ الذهنية، ومزاجه النفسي، وانطباعاته الاجتماعية والسياسية، وفكره النقدي. فالصحافة جعلته في موقع الرقيب والناقد والمؤثر، وفتحت ذهنه على مجريات الشأن العام، والاقتراب من

تاريخ النشر 2020/12/22

تاريخ القبول: 2017/12/29

تاريخ الارسال: 2017/10/31

واللهجة والأسلوب والموضوع، لم يسبق للمقطم أو غيره من الصحف التي عرفت يؤمذ بكتابتها الحرة أن كتبت مثله، فلفت الكتاب إليه الأنظار، وشغل الخواطر، وأخذت الدعوة الحرة تلبس شكلاً جدياً، وأخذ الكتاب والقراء والناس يتساءلون عن صاحب هذا الأثر البديع في جريدة المؤيد التي سلكت مسلك الصحف الحرة على رغم اتصالها الشديد بالخدوي عباس الثاني والأستانة. ويقولون ترى من يكون صاحب كتاب طبائع الاستبداد⁸؟ فاعتقد الجمهور لأول وهلة أنه من نتاج قلم وتفكير فقيد الشرق الشيخ محمد عبده، لولا الجفاء الذي كان مستحكماً بين صاحب المؤيد وبينه، ولولا بعد الشيخ محمد عبده عن كل ما يتصل بالخدوي قريباً أو بعيداً.

فلم تمض أيام على انتشار ذلك الكتاب في المؤيد حتى عرف الكتاب الكواكي فوضعه دفعة واحدة في الدرجة الأولى بين رجال الفكر والقلم، وأنزلوه منزلة الشيخ محمد عبده، فعرفوا منزلته وأعلوا قدره» وخلال فترة وجيزة استطاع الكواكي أن يحتل مكانة متقدمة في مصر بين المفكرين والمصلحين. فحين يتحدث غالي شكري عن الجسر الإسلامي كما يصفه الممتد بين فكر النهضة ومصر الحديثة، ويبرز الأسماء التي أمدت هذا الجسر ويذكر ثلاثة أسماء رئيسية هي السيد جمال الدين

وحاول نشرها وتعميمها في بلاد الشرق والعالم الإسلامي، مستفيداً من أجواء الحرية هناك خصوصاً في نقد السياسات العثمانية، ومن نشاط الصحافة الواسع، ومن موقعية مصر كمركز إشعاع واتصال ثقافي وسياسي.

ومن القاهرة عرف الكواكي في بلاد الشرق، وتلاحقت أفكاره واندجمت بحركة الإصلاح الإسلامي⁷. وانضم إلى نخبة من المصلحين والكتاب الذين سبقوه إلى مصر كالشيخ محمد رشيد رضا ومحمد كرد علي وطاهر الجزائري وعبد القادر المغربي ورفيق العظم وعبد الحميد الزهراوي. ونقل عنه رشيد رضا بعد وصوله إلى مصر قوله "إن الإنسان يتجراً أن يقول ويكتب في بلاد الحرية ما لا يتجرأ عليه في بلاد الاستبداد، بل إن بلاد الحرية تولد في الذهن من الأفكار والآراء ما لا يتولد في غيرها..".

وفي القاهرة نشر الكواكي على حلقات كتابه «طبائع الاستبداد» في صحيفة «المؤيد» التي كان يصدرها علي يوسف، ونشر كتاب «أم القرى» في صحيفة «المنار». الكتابات التي عرفت بالكواكي وفكره ونظراته وطبيعة توجهاته. وعن أجواء هذه الكتابات يقول زميله في القاهرة إبراهيم النجار «حدث أن صدر المؤيد ذات يوم يحمل إلى قرائه كتاباً غريب الشكل

تاريخ النشر 2020/12/22

تاريخ القبول: 2017/12/29

تاريخ الارسال: 2017/10/31

مؤلفات المصلحين، وحاول الكواكي من خلاله أن يقدم تحليلاً شاملاً لمشكلات الأمة، وبمنهجية تستوعب تعدد البيئات والقوميات واللغات وتنوع المجتمعات والثقافات، وصياغة برنامج مشترك للنهضة والتمدن.

منهج الإصلاح عند عبد الرحمان الكواكي.

قامت دعوة الكواكي في تحديد الفكر الإسلامي على المبادئ الرئيسية التالية:

1- الجانب الديني:

إن النظرية التي يصدر عنها الكواكي لتحقيق الأهداف والغايات التي رسمها للمستقبل هي ما يسميها بـ"الإسلامية" وهي الاختيارات التي يتبناها المسلمون في مختلف شؤونهم الحيوية، والحلول التي يستنبطونها لمشكلاتهم الحياتية مع اعتبار مقتضيات الزمان، دون الإخلال بالقواعد العمومية التي شرعها أو ندب إليها الرسول "صلى" لأن الكواكي يفرق بين "الإسلام" و"الإسلامية" فالأول هو الدين والثانية هي نظام الحكم الذي يطبقه المسلمون في حياتهم¹³.

وبناء على ذلك ينادي الكواكي بفتح باب الاجتهاد من جديد الذي كان إغلاقه أكبر مصيبة حلت بالمسلمين، ويرى أن الاجتهاد يجب أن يختص به العلماء المقتدرون ولا يجوز بذله في غير باب "المعاملات" أما "العقائد" فيكفي أن تظهر مما علق بها من شوائب فقط.

الأفغاني وخير الدين التونسي ويضيف إليهم عبد الرحمن الكواكي الذي يعتبره آخر الجسور التي واكبت المرحلة الثانية من عصر النهضة في مصر. وهذا الجسر في نظر غالي شكري «كان أكثر تأثيراً وفعالية من كافة الجسور الوافدة من الخارج، وذلك لسبب داخلي محض هو أن غالبية الشعب المصري تدين بالإسلام وبالتالي كان من الممكن للأفكار الإسلامية المتحررة أن تؤثر بوزن أكبر». ومن مصر وتحديداً في سنة 1901م انطلق الكواكي بجوب بلاد الشرق والعالم الإسلامي. حيث قام برحلته الأولى التي وصفها محمد عمارة بأنها شهيرة وهامة⁹.

وشملت أفريقيا الشرقية والجنوبية وامتدت إلى سواحل آسيا الجنوبية والهند واندونيسيا إلى السواحل الجنوبية للصين. واستغرقت ستة أشهر عاد بعدها إلى مصر. وكان يخطط لجولة ثانية إلى بلاد المغرب. والذي نفهمه من هذه الزيارات أنها ذات صلة بأطروحة كتابه «أم القرى»¹⁰ و الذي وصفه الشيخ رشيد رضا كتاب «أم القرى» في جريدته «المنار» بأنه «لم يكتب مثله في الإصلاح الإسلامي»¹¹ واعتبره أحمد أمين بأنه «بحث مبتكر يدل على كبر عقله. أي الكواكي. وقوة تفكيره، وسعة اطلاعه، وصدق غيرته على العالم الإسلامي»¹² ولاشك أن هذا الكتاب قد تميز بأطروحة فريدة من بين

تاريخ النشر 2020/12/22

تاريخ القبول: 2017/12/29

تاريخ الارسال: 2017/10/31

مع ذلك لا يتجاهل دور الجماهير في هذه المعركة أو كما سماهم العوام.¹⁵

2- الجانب السياسي :

يعرّف الكواكبي السياسة بذكره أنها " إدارة شؤون الأمة المشتركة ورعايتها بمقتضى التقيد بقانون موافق لرغائب أفراد المجتمع وتكون هذه الإدارة بالتعاون والرضا من الجميع حاكمين ومحكومين"، وقد قدم مفهومًا للمساواة كما أقرتها الثورة الفرنسية.. أي مساواة أمام قانون واحد يسري على جميع المواطنين حكامًا ومحكومين في "نعيم الحياة وشظفها" لا فرق بين غني وفقير، وضعيف وقوي، وأبناء مذهب ومذهب، وبالتالي تنحصر وظائف السلطة التنفيذية أي الحكومة في إدارة شؤون الأمة بمقتضى التقيد بهذا القانون الصادر "عن جمع منتخب من قبل الأمة".

والظاهر أنّ أن الواقع الاجتماعي للكواكبي بوصفه ينتمي إلى عائلة الأشراف بحلب قد ساهم إلى حد بعيد في تحديد رؤيته السياسية عندما قرر أن "الإسلامية" "مؤسسة على أصول الإدارة الديمقراطية، أي العمومية والشورى الأرسطراطية، "شورى الأشراف" وهو ما يكرس النخبوية في المجتمع الذي يدعو إلى إقامته الكواكبي.¹⁶ ثم يضيف الكواكبي أن لا إمكانية لنشوء الدولة المستقرة التي ترقى بأفرادها ما لم يتحول الحاكم إلى خادم مطيع يخضع للقانون بملء إرادته وتكون الرعاية

ويبقى باب الاجتهاد وبذل الجهد الفكري فيما يتعلق بمشكلات الحياة المتجددة مفتوحًا أبدًا بل واجبا تحتمه الحياة ومصلحة المسلمين لمجاعة روح العصر انطلاقًا من قاعدة "تغير الأحكام بتغير الظروف"! ف رؤية الكواكبي هذه تنبثق من الأصل القرآن وتنظر على أنه يبقى مفتوحًا ،

قال الكواكبي في أثر الاستبداد بالدين على قتل الميول الطبيعية عند الإنسان مثل حبه الوطن والأسرة والأهل "الاستبداد يتصرف في أكثر الأميال الطبيعية والأخلاق الحسنة، فيضعفها أو يفسدها أو يمحوها، فيجعل الإنسان يكفر بنعم مولاه، لأنه لم يملكها حق الملك ليحمده عليها حق الحمد، ويجعله حاقدا على قومه لأنهم عون لبلاء الاستبداد عليه، وفاقدا حب وطنه، لأنه غير آمن على الاستقرار فيه ويود لو انتقل منه، وضعيف الحب لعائلته، لأنه ليس مطمئنا على دوام علاقته معها، ومختل الثقة في صداقة أحبائه، وقد يضطرون لإضرار صديقهم بل وقتله وهم باكون، أسير الاستبداد لا يملك شيئا ليحرص على حفظه، لأنه لا يملك مالا غير معرض للسلب ولا شرفا غير معرض للإهانة"¹⁴.

ويوضح الكواكبي مدى رفض الدين القويم للاستبداد، حيث يحدد جانبين متكاملين في تلك المعركة: الجانب الأول يتعلق بدور العلماء فيرى أن العلماء يتحملون عبئا كبيرا في مقاومة الاستبداد فالمستبد عاشق للخيانة، والعلماء منبهون ومحدرون، وللمستبد أعمال لا يفسدها عليه إلا العلماء، لكنه

تاريخ النشر 2020/12/22

تاريخ القبول: 2017/12/29

تاريخ الارسال: 2017/10/31

تقوم الحركة الاصلاحية للكواكي في وجهها الاقتصادي والاجتماعي على ما يسميه الكواكي "بمعيشة الاشتراك العمومي" ومعناه التعاون والاتحاد والتحابب والاتفاق .

"فالإسلامية"¹⁷ كما أسست حكومة ديمقراطية تقوم على الشورى والحرية، أسست أيضا أصول هذه المعيشة التي تهدف إلى تحقيق التساوي والتقارب في الحقوق والحالة المعيشية بين البشر، و تعمل ضد "الاستبداد المالي" بمعنى رأس المال.. حتى لا يصبح المال دولة بين الأغنياء فقط وحتى يستطيع فقراء الأمة اللحاق بأغنيائها . إن منع تراكم الثروات بأيدي أقلية يصبح ضرورة حضارية وأخلاقية، لأن تراكم الثروة يولد الاستبداد الداخلي و الاستعمار الخارجي .. كما أن تراكم الثروات بأيدي أقلية يضر بأخلاق الأفراد ذلك أنه توجد علاقة جدلية بين الغنى المفرط أو الفقر المدقع وانحطاط الأخلاق .

وبهذه النظرة العميقة يتجاوز الكواكي ذلك النقد ذو المنزع الليبرالي الداعي للمساواة الحقوقية. والذي يأخذ على حكم الاستبداد تجاوزاته ومناقضاته للتشريعات والقوانين المرعية، منطلقة من احترام مجرد لهذه القوانين والتي لا تمثل في الواقع إلا مصالح تلك الفئة التي تسن تلك القوانين وتكرس الأعراف المناسبة لمصالحها الاجتماعية والاقتصادية، داعيا إلى ضمان فعلي لمصالح كافة شرائح المجتمع .

على وعي تام بسيرة حاكمها فتراقبه رقابة مشددة حتى لا يحد عن الطريق السوي .

ويمكننا أن نسأل الكواكي هنا من أين لنا مثل هذه الرعاية الواعية بدورها السياسي والفاعلة في مجريات الواقع ما دمت قد أحلت معظم أفراد هذه الرعاية على التقاعد ليتركوا الأمر لأهل الحل والعقد المسمون عندك بالأشراف؟! ويبدو أن الكواكي كان مستلهما لرأي "منتسكيو" عندما ينبه إلى ضرورة فصل القضاء عن الحكومة والتفريق بين السلطات السياسية والدينية والتعليم مؤكدا على أن مثل هذه المبادئ السامية قد جسدت في حكومة الرسول صلى الله عليه و سلم والخلفاء الراشدين وبعض السلف كعمر بن عبد العزيز والمهتدي العباسي ونور الدين الشهيد...

وهكذا حاول الكواكي "بمفاهيم إسلامية" تبرير تبني المؤسسات الغربية معتبرا ذلك التبنّي عودة إلى روح الإسلام لا إدخال شيء جديد عليه، وقد جعلته ميولاته "الديمقراطية" يعتقد أن النظام البرلماني ليس سوى بعث لنظام الشورى الإسلامية على ما بينهما من فرق.

ولم تتجاوز نظره إلى الحكم الصالح الرشيد النظرة الدينية التقليدية التي تدعو الحاكم أن لا يحكم الهوى في حكم الناس وإنما عليه أن يحكم بالعدل .

3- الجانب الاقتصادي والاجتماعي :

تاريخ النشر 2020/12/22

تاريخ القبول: 2017/12/29

تاريخ الارسال: 2017/10/31

الطبيعة ونواميسها... لا يملك إلا بعمل فيه أو في مقابله ."

لكن هناك نوع من الثروة يجب أن تبقى عامة ومشاركة بين العاملين في المجتمع ولا يصح أن . أبدا وهي: "الأراضي والمعادن والأنهر، والسواحل، والقلاع والمعابد والأساطيل، والمعدات الخ". مما هو لازم للجميع وتبقى للحكومة صفة الأمانة على هذه الأملاك .

والحاصل أن "الاشتراكية" التي يدعو إليها الكواكي قائمة على دعامتين: أولهما الملكية العامة للثروة وتدخل في نطاقها جميع احتياجات البشر الضرورية لحياتهم سواء كانت مادية أو أدبية، وفي مقدمتها الأراضي الزراعية وكل ما في باطن الأرض من معادن وكنوز وهي "ملكا لعامة الأمة يستنبتها ويتمتع بخيراتها العاملون فيها استلهاما من الحديث المشهور "من أحيأ أرضا مواتا فهي له ."

وثانيهما: طاقة العمل الإنساني المبذولة في تنمية هذه الثروة العامة وتحصيل ثمراتها. وبناء على ذلك يصبح معيار إنسانية الإنسان في المجتمع الاشتراكي هو العمل". فلا يكون الإنسان إنسانا ما لم تكن له صنعة مفيدة تكفي معاشه باقتصاد لا تنقصه فتدله ولا تزيد عليه فتطغيه" فلا مكان في المجتمع الذي يدعو إلى إقامته الكواكي للمتعطلين الذين يريدون العيش على حساب

إن الاستبداد السياسي هو المسئول عن الظلم والقهر من جهة وعن التأخر الاقتصادي وعن الحيف الاجتماعي من جهة ثانية. أما "الاشتراك العمومي" فهو سر البقاء والتقدم لكل ما في الكون و"هو أعظم سر الكائنات . "فهو طبيعي يتلاءم مع سنن الكون، وقوانين الطبيعة، ومن ثمة فإن الفردية المطلقة لا مكان لها في المجتمع الذي يدعو الكواكي إلى إقامته، لأنها ضد نظام الكون وسنن الحياة. بالإضافة إلى أن الاشتراك العمومي أصبح حاجة ملحة في العصر الحديث وهو العمود الفقري لإنجاز الأعمال الكبرى التي لا تفي بها أعمال الأفراد كما أنه حجر الزاوية في "نجاح الأمم المتقدمة"¹⁸ .

تنبع دعوة الكواكي إلى "معيشة الاشتراك العمومي" من فلسفة قوامها أن ثروة المجتمع إنما هي "فيض" قد أودعه الله في الطبيعة، وبناء على ذلك فإن كل ما في هذه الطبيعة من ثروات وكنوز ظاهرة أو باطنه يجب أن تبقى عامة وأن يسود فيها قانون الاشتراك العمومي بين البشر العاملين في ترويض هذه الطبيعة وإخضاعها .

فالمال المستمد من الطبيعة لا يجب أن يملك... وإذا جاز أن يختص بإنسان أو يدخل في حيازته فإن طاقة العمل الإنساني تكون هي السبب لهذه الحياة وذلك الاختصاص، يقول الكواكي في هذا المجال: "إن المال المستمد من الفيض الذي أودعه الله في

تاريخ النشر 2020/12/22

تاريخ القبول: 2017/12/29

تاريخ الارسال: 2017/10/31

الخاتمة

أدرك الكواكبي مثلما أدرك معاصروه من رجال الإصلاح أن المجتمع العربي الإسلامي قد أصبح بحاجة أكيدة إلى تغيير جذري في هياكله السياسية والاجتماعية و الاقتصادية... وجاء هذا الوعي وهذا الإدراك نتيجة مباشرة لغزو بونابرت لمصر عام 1798م، واطلاع بعض المثقفين العرب على "فلسفة الأنوار" التي مهدت لثورة 1789م .

ولقد تميز الكواكبي بحرص شديد على ضرب المؤسسة السياسية واعتبرها رأس كل شر أصاب العرب بسبب الاستبداد الذي كان يمارسه الحكام على المحكومين منذ عصر الانحطاط. لهذا نجده يكثف من هجمته العنيفة ونقده الحاد لهذه المؤسسة، ويطالب بإحداث حكومة ديمقراطية حتى تتمكن من رعاية مصالح العرب على أحسن وجه .

ولعله قد أفلح كثيرا في إقناعنا بفساد الإدارة التركية وبخطورة المؤسسة السياسية في التأثير على كل جانب من جوانب الحياة في المجتمع، كما سبق وبيننا في تحليل ما خطته يد

هذا "الزعيم المصلح".
لئن أفلح الكواكبي في صنع نسق سياسي - فكري حضاري، فإن هذا النسق الفكري بقي محدودا في نجاحته الحضارية وإحداث النهضة، بسبب

الآخرين "فمن لا يصلح لوظيفة أو لا يقوم بما يصلح له بل يريد أن يعيش كلا عليهم (أي العاملين) لا عن عجز طبيعي(يكون) حقيرا يستحق الموت لا الشفقة"¹⁹.

إن السعي في هذا السبيل لتطبيق "مبادئ الاشتراكية" هو مواصلة لتراث سابق، واستجابة لحاجات كثيرة بعضها كامن في طبيعة النفس العربية لأن "العرب أهدي الناس لأصول المعيشة الاشتراكية"؟! إن تحقيق هذا الطراز الرفيع من الشورى والديمقراطية والاشتراكية الاجتماعية يأتي نتيجة "لثقافة معينة" و تتويجا لمذهب إنساني أي نتيجة لتقويم معين للإنسان على مستواه الشخصي وعلى مستوى علاقته بالآخرين.

لذلك يتوجب تخلص الإنسان من كل التوجهات المضادة للشورى والديمقراطية، وهذا ما يجعل " الثقافة الإسلامية " تقتضي الحكمة العقلية وعلوم الحياة، وحقوق الأمم، وطبائع الاجتماع والسياسة المدنية والتاريخ المفصل... ونحو ذلك من العلوم التي تكبر النفوس وتوسع العقول، وتعرف الإنسان ما هي حقوقه، وما هي واجباته، وهذا ما يجعل من الثقافة الصحيحة المستنيرة والعميقة ونشرها بين كل أفراد المجتمع ركيزة أساسية من ركائز الثقافة الإسلامية وأساس من أسسها²⁰.

تاريخ النشر 2020/12/22

تاريخ القبول: 2017/12/29

تاريخ الارسال: 2017/10/31

6 محمد عمارة، عبد الرحمن الكواكبي شهيد الحرية ومجدد الإسلام ، دار الوحدة، بيروت ، 1984م، ص39

7. فهمي جدعان ، أسس التقدم عند مفكري الإسلام في العالم العربي الحديث ، دار الشروق ، عمان ، 1988م، ص30

8 طابع الاستبداد و مصارع الاستبداد، هو الكتاب الرئيسي الذي حاول فيه الكواكب تبيان مورد الداء الفين حتى يتعرف الشرقيون انهم هم المتسببون في لما هو فيه من تخلف وركود فلا يبعثون على الاغيار و لا على الاقدار.

9 محمد عمارة، عبد الرحمن الكواكبي شهيد الحرية ومجدد الإسلام، دار الوحدة، بيروت 1984م، ص39

10 عاطف العراقي، العقل والتنوير في الفكر العربي المعاصر، دار قباء، القاهرة، 1998، ص175

11 بشير السباعي، الفكر الاجتماعي والسياسي الحديث في مصر والشام ، دار شرقيات، القاهرة 1997م، ص117

12 أحمد أمين، زعماء الاصلاح في العصر الحديث ، دار الكتاب العربي، بيروت: 1979م، ص278

13 محمد بن سالم بن عمر، نقد الاستبداد الشرقي

عند الكواكبي و أثر التنوير فيه، مقال، 2009

14 عبد الرحمن الكواكبي، طبائع الاستبداد ومصارع الاستبداد، ط3، دار النفائس، بيروت، لبنان، 2006، ص107

15 صلاح زكي أحمد، أعلام النهضة العربية الإسلامية في العصر الحديث، ط1، مركز الحضارة العربية، القاهرة، 2001، ص67

16 محمد بن سالم بن عمر، نقد الاستبداد الشرقي عند الكواكبي و أثر التنوير فيه، مقال، 2009

17 محمد بن سالم بن عمر، مرجع سابق، ص4

18 حمزة محمد شاهين، عبد الرحمان الكواكبي، العبقريّة

الفائرة ، منشورات المكتبة العالمية ط 1، 1958،

القاهرة ص22

الهيمنة الكبيرة التي بقي يمارسها التراث العربي الإسلامي على الحلول التي استنبطها الكواكبي في معالجة مشكلات المجتمع العربي بالإضافة إلى الهيمنة الحضارية التي أصبح يمارسها الفكر الغربي الحديث على بعض الحلول التي قدمها دون مراعاة خصوصية كل مجتمع ومتطلباته الحضارية .

فهل من سبيل إلى حادثة إسلامية جديدة تنقذ امتنا العربية الإسلامية من التخلف الحضاري و التبعية و الاستعمار و ترجع لها القدرة على الفعل التاريخي و قيادة مسيرة الشعوب نحو الخير و الأمن و السلام؟

المصادر والمراجع

1 سيف الدين الكاتب، أطلس التاريخ الحديث، ط1، دار الشرق

العربي للطباعة و النشر و التوزيع، حلب، سوريا 2008، ص132

2 سعد زغلول الكواكبي، عبد الرحمن الكواكبي السيرة الذاتية، دار بيسان للنشر والتوزيع، 1998م، ص272

3 عبد الباسط محمد حسن، جمال الدين الأفغاني وأثره في العالم الإسلامي الحديث ، مكتبة وهبة، القاهرة 1982م، ص226

4 سمير أبو حمدان، عبد الرحمن الكواكبي وفلسفة الاستبداد. ، بيروت: الشركة العالمية للكتاب، 1992م، ص31

5 غالي شكري، النهضة والسقوط في الفكر المصري الحديث، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1992م، ص171

تاريخ النشر 2020/12/22

تاريخ القبول: 2017/12/29

تاريخ الارسال: 2017/10/31

19 حمزة محمد شاهين، مرجع سابق، ص23

²⁰ Hourani, Albert. Arabic thought in the Liberal age, 1798-1939, London, Cambridge University press, 1983.p96